من "الكينغ ديفيد الى كامب ديفيد"

نفس المهزلة والنتيجة واحدة

حينما يصدف ان يعيد التاريخ نفسه تكون هذه الاعادة بصورة مهزلة. بهذا المعنى وصف ماركس محاولة نابليون الثالث تقمص شخصية جده. ويكون الامر اكثر هزلا حينما يكون الحدث الاول الذي يراد اعادته مهزلة في حد ذاته!

لنستذكر ذلك بعد سماعنا عن بيان "الكينغ ديفيد" او بيان ابا ايبان، على الاصح، الذي شارك في توقيعه بعض الفلسطينيين . ففي نفس المكان صدر اول بيان عربي اسرائيلي رسمي اعلن فيه بيغن والسادات ان "حرب عام ١٩٧٣ هي اخر الحروب". وقد قاد هذا البيان الكثيرين الى الامل او الوهم بان السلام بات على الابواب. لكن الحرب لم تتوقف، وخاصة ضد الشعبين الفلسطيني واللبناني، واتخذت صورة مسلسل متعدد الاشكال لا تزال حلقاته متواصلة حتى اليوم. وخلال ذلك وقعت اتفاقيات كامب ديفيد التي زادت ، عمليا، من حدة عناصر الصراع في منطقة الشرق الاوسط بدليل ما جرى في الرها من اعتداءات على المفاعل النووي في العراق، وضد لبنان، وتونس، ومن تكثيف للاستيطان الاسرائيلي في الاراضي العربية المحتلة، والاعلان عن ضم الجولان والقدس العربية لاسرائيل.

هذه الوقائع تظهر ان بيان "الكينغ ديفيد" الاول كان مجرد مهزلة اريد بها زرع الاوهام لدى الجماهير العربية، وعدم اعادة السادات من رحلته الى القدس خاوي الوفاض. واكثر من ذلك استجاب بيغن، رئيس الوزارة الاسرائيلية، وليس ابا ايبان الذي لا يشغل اي منصب حكومي، لدعوة السادات الى "مؤتمر دولي" في فندق مينا هاوس، وحضره، لتذكير من يتناسى ذلك، ممثل عن الامم المتحدة وعن الحكومة الاميركية. واتخذ ذلك المؤتمر، الذي برهنت وقائعه انه كان مهزلة، صفة "مؤتمر دولي" استنادا الى حضور ممثلين اخرين غير ممثلي مصر واسرائيل، ورغم معارضة كافة الاطراف المعنية الاخرى، وفي مقدمتها منظمة التحرير وسوريا والاردن ولبنان والاتحاد السوفييتي.

وللحقيقة نذكر ان السادات وجه الدعوة الى منظمة التحرير وتراجع بعد معارضة اسرائيل. فضلا عن ان منظمة التحرير نفسها كانت تدرك، آنذاك، مغزى تلك الدعوة واخطار "تحرك" السادات ونهجه، وترى فيها خطوة اولى في حال قبولها نحو الاستسلام.

اما بيان "الكينغ ديفيد" الثاني فأسقط الدعوة الى منظمة التحرير للمشاركة في "مؤتمر دولي"، واصحاب الدعوة انفسهم ليسوا في مستوى السادات او بيغن من ناحية المسؤولية. والمشاركون العرب في البيان قدموا بتجاهل مشاركة منظمة التحرير في المؤتمر الدولي تنازلا مسبقا ومجانيا قبل ان يبدأ اي بحث رسمي في صيغة تلك المشاركة. ووفروا بكونهم من الاراضي المحتلة وسيلة ضغط اضافية على منظمة التحرير وحلفائها واصدقائها للتنازل عن المشاركة في المؤتمر الدولي، واعطوا لشمعون بيرس وشولتز فرصة الادعاء بأن بلديهما ليسا الوحيدين في معارضة اشتراك منظمة التحرير في ذلك المؤتمر .

واكثر من هذا فان بيان "الكينغ ديفيد" والاتصالات الجارية بنفس الروح اوالغاية يستهدفان محاولة خلق الانطباع لدى اوساط الرأي العام العالمي التي تؤيد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بأن الفلسطينيين في الاراضي المحتلة يؤيدون التفاوض على اساس برنامج الحكومة الاسرائيلية، وليس على اساس برنامج منظمة التحرير القائم على اساس مقررات قمة فاس العربية، والمنسجم مع الخطة السوفييتية للسلام في الشرق الاوسط. ومن اجل تحسين فرص هذه المحاولة يعمل المسؤولون الاسرائيليون والاميركيون واجهزة اعلامهم على توزيع صفات "الاهمية" و "التمثيلية" على الاشخاص الذين يلتقون بهم، رغم افتقار اولئك الاشخاص الشديد لتلك الصفات.

وقد كان من الممكن ان لا تحمل هذه الاتصالات والبيانات اية اهمية لو لم تكن جزءا من جهد منسق يجري في بعض العواصم العربية والاجنبية، ويوجه "كطعم" لبعض الاوساط الفلسطينية لتشجيعها على التراجع عما تحقق من تطورات ايجابية نحو استعادة الوحدة لمنظمة التحرير. وبهدف دفع عملية التمايز القائمة في داخل التجمعات الفلسطينية، على المستويين الطبقي والجغرافي، الى خارج اطار منظمة التحرير على صورة مراكز تتنازع الادعاء بتمثيل الشعب الفلسطيني.

وانه لامر يستدعي الانتباه صدور تصريحات عن رئيس مجلس دورة عمان ينفي وجود مسألة الغاء اتفاق عمان على جدول اعمال اللجنة التنفيذية، والدورة المنتظرة للمجلس الوطني الفلسطيني، في نفس الوقت الذي يؤكد فيه خليل الوزير، نائب رئيس حركة فتح، الالتزام بالغاء ذلك الاتفاق، ووضع وثيقة عن هذا الالتزام لدى كل من ليبيا والجزائر. وتصريح بعض الموقعين على بيان "الكينغ ديفيد" بأنهم لا يريدون الوحدة الوطنية لانها، على حد زعمهم ، تقيد حركة الاغلبية!

بشير البرغوثي

وقبل ذلك نشر على لسان "مصدر اردني كبير" ان الحكومة الاردنية لم تعد تشترط على منظمة التحرير الموافقة على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢، واعلن عن "تغيير" في الموقف الاميركي من المؤتمر الدولي، وعن زيارة زيد الرفاعي لواشنطن، واشتراط زيارة الملك حسين للعاصمة الاميركية بموافقة الاخيرة على ذلك المؤتمر، والحديث بعدالاشتراط عن احتمال قيامه بتلك الزيارة.

ان كل هذه الاشارات التي تصدر من القدس وعمان والقاهرة وواشنطن لا تحمل قيمة جدية. وانما تهدف التشويش على مساعي استعادة وحدة منظمة التحرير، وزرع الشكوك بين اطراف الحوار الوطني.

لكنها، في نفس الوقت، وبالاصرار الذي تمارس به، والاوساط الفلسطينية التي تشارك فيها، رغم تأكيدات عدد من المسؤولين في منظمة التحرير على ما يناقضها ، تشير الى توجه ملحوظ لدى تلك الاوساط التي كانت، في الماضي، تخفي موقفها تحت عباءة موافقة حركة فتح على اتفاق عمان، للابتعاد عن منظمة التحرير، واقامة مركز خاص بها متحالف مع النظامين الاردني والمصري.

ومن هنا فان استعادة الوحدة الى منظمة التحرير ستلقي الضوء الكاشف على مختلف زوايا ودهاليز الساحة الفلسطينية، وتفسد فرص تلك الاوساط التي تعمل في الظلام للادعاء بانها تقف تحت مظلة منظمة التحرير!

نقاش قصير مع ساداتي صغير

لم نكن نعلم ان "وثيقة ابا ايبان" "لها اهمية فريدة من نوعها في تاريخ الصراع الفلسطيني الاسرائيلي" الا حينما طالعنا مقال السيد سعيد كنعان في صحيفة الفجر. وكان ظننا في بداية الامر أن هذه "الوثيقة" لا تعدو كونها اضافة اخرى الى مسلسل البحث وراء الاوهام الذي تنغمس فيه ممثلو البرجوازية الفلسطينية الكبيرة واتباعها من البيروقراطيين والباحثين عن مكان مريح!

لكن طالما ان سعيد كنعان قرر ان يضفي على "وثيقة ابا ايبان" التي وضع عليها اسمه هالة التاريخية رغم عدم المامه بالتاريخ كما اتضح في مقارناته التي حفل بها المقال، فمن الواجب ان نذكره بان خطاب السادات في الكنيست الاسرائيلي تضمن كافة المطالب الفلسطينية باستثناء الاشارة الى منظمة التحرير. وبومها قال المتحمسون للسادات ان هذا الامر ليس مقصودا، المهم هو مضمون خطابه. وبمرور الايام، فيما بعد، ان جميع المطالب الفلسطينية الواردة في الخطاب كالدولة المستقلة، والانسحاب الكامل من الاراضي المحتلة في عام ١٩٦٧ قد سقطت في كامب ديفيد، وتصاعدت المساندة الاميركية الاسرائيلية للقضاء على منظمة التحرير.

ان هذه رؤية علاقات "القرابة" بين "وثيقة ابا ايبان" ومعاهدات اتفاقية كامب ديفيد فيما يتعلق بالحقوق المشروعة والتمثيل الفلسطيني. وهذه القرابة لا تؤدي الى اشتراك منظمة التحرير في المؤتمر الدولي بل تتضمن قبولا ضمنيا بأي احتمال آخر، وبصيغ اخرى غير اشتراكها على قدم المساواة مع الاطراف الاخرى. والا لما كانت هناك حاجة لاصرار ابا ايبان على عدم الاشارة اليها.

ومع ذلك فان صاحب المقال المذكور يحاول الايهام بأن المؤتمر الدولي سيعقد "لاقتسام مناطق النفوذ بين الجبارين كما حدث في يالطا عام ١٩٤٥" وأن الذين " لا يعون التوازنات الدولية" هم الذين يعارضون وثيقة ابا ايبان، ويعرقلون بالتالي اشتراك المنظمة في المؤتمر الدولي "بين الجبارين"! وقد جاءت "الوثيقة" لانقاذ الموقف، وضمان مشاركة منظمة التحرير!

وهنا ينبغي تذكير السيد كنعان بأنه يضم نفسه بالهجوم على مؤتمر يالطا الى ريغان وتاتشر وملوك وحكام الانظمة البائدة في اوروبا الشرقية الذين اغلق مؤتمر يالطا عودتهم للسيطرة على بلدانهم الى الابد، وفتح امام شعوب هذه البلدان بناء الاشتراكية والمستقبل الزاهر، ووفر لشعبنا الفلسطيني وقوى التحرر الوطني في العالم حلفاء اوفياء كما نشهد في العلاقات الوطيدة القائمة بين منظمة التحرير وتلك البلدان .

هكذا اذن "وثيقة ابا ايبان" هي بطاقة دخول منظمة التحرير للمؤتمر الدولي! اما وحدة المنظمة وتعزيز علاقاتها بجماهيرها وبحركة التحرر العربية والعالمية فأمور ثانوية لا علاقة لها بفرصة اشتراك المنظمة في المؤتمر الدولي.

وليس ذلك فقط بل ان "وثيقة ابا ايبان" ستحقق نصرا كبيرا لا للشعب الفلسطيني وحده، في نظر سعيد كنعان بل لكل الشعوب الصغيرة. لانه، على حد قوله "عندما تجتمع الدول الكبرى يكون ذلك على حساب الشعوب الصغيرة". ولهذا فان اعتماد وثيقة ابا ايبان سيضمن اشتراك منظمة التحرير وبالتالي يضمن عدم انفراد الدول الكبرى بالشعوب الصغيرة، ويحبط سعيها لاقتسام مناطق النفوذ.

بهذا الجهل بالوقائع، وبحقيقة الصراع على المستويات المحلية والعربية والدولية يتحدث اللاهثون وراء الحلول الاميركية.

ان "الدول الكبرى" في عام ١٩١٩ كانت دولا استعمارية تسعى وراء اعادة اقتسام المستعمرات. والدول الكبرى اليوم بينها دولة طالما اعتبرتها مقررات المجالس الوطنية الفلسطينية دولة حليفة للشعب الفلسطيني ولحركة التحرر العربية، وطالما أكدت وقائع الدعم والمساندة السياسية والاقتصادية والعسكرية وفاءها لحقوق شعوبنا العربية ولامانيها في التحرر والتقدم. وما أكثر ما ردد القادة الفلسطينيون والعرب الوطنيون اعترافهم بتلك الوقائع.

اذن لماذا يوضع الاتحاد السوفييتي على قدم المساواة مع اميركا ؟ ولماذا تصور دعواته المتكررة لعقد المؤتمر الدولي وكأنها مؤامرة لاقتسام مناطق النفوذ وعلى حساب الشعوب الصغيرة ؟ وكيف يفسر سعيد كنعان، لو كان هذا صحيحا، معارضة اميركا، واسرائيل للمؤتمر الدولي، ومعارضة السادات له في عام ١٩٧٧ ؟ وما هو جوابه على حقيقة ان هذه المعارضة افرزت في حينها اتفاقيات كامب ديفيد ؟ وان ابرز ممثليها اليوم هم ريغان وشامير ؟!

ليس هناك من تفسير سوى ان اللاهثين وراء اميركا ومشاريعها يريدون التسلق على اسم المؤتمر الدولي للوصول الى شيء آخر غير ذلك المؤتمر. والمؤتمر الذي يخشى اصحاب وثيقة ابا ايبان من العرب ان يعقد بدونهم لن يشارك فيه الاتحاد السوفييتي الا اذا شاركت فيه منظمة التحرير. وهذه حقيقة يعرفها جيدا القادة الفلسطينيون، ويعرفون ايضا ان مساعي الاتحاد السوفييتي وحثه لاعادة وحدة منظمة التحرير تستهدف تعزيز موقف المنظمة وتأمين مشاركتها في المؤتمر الدولي.

ومن السخف ان يعتقد أحد بأن مشاركة منظمة التحرير في المؤتمر الدولي تأتي على يد ابا ايبان الذي لا يشغل موقعا مسؤولا في الحكومة الاسرائيلية بينما يعارض رئيس هذه الحكومة أية مشاركة للمنظمة في المؤتمر. ومع ذلك فان ابا ايبان نفسه يعارض هو الاخر، مثلما يعارض رئيس حزبه تلك المشاركة. ولهذا فان وثيقة ابا ايبان ليست سوى خطوة اخرى على الطريق الساداتي اياه.

"مراقب"